مديرية الرصافة الثانية
العامرة
م.م سعيد حسين
مدير قسم الأعداد
كلية الآداب

الفيلسوف

مجلة علمية فصلية محكمة
تصدر عن كلية الاداب /جامعة الكوفة
العدد الثاني /السنة الأولى /٢٠٠٣

أ.د.عبد الأمير كاظم زاهد — رئيس التحرير
د.علاء حسين الرهيمي — نائب رئيس التحرير

الهيأة الاستشارية — هيأة التحرير

أ.د.عنان غزوان — د.خليل عبد السادة ابراهيم
أ.د.صادق السوداني — د.علي عظم محمد عباس
أ.د.علي حسين الجابري — د.محمد حسن عبد الرحمن
أ.د.وميض جمال عمر نظمي — د.عبد الصاحب البغدادي
أ.د.عبد الاله رزوقي كربل — د.حمزة سلطان
أ.د.محسن عبد الحميد — حسين عبد حسين حمزة

ادارة تحرير المجلة — علي عباس عبد الحسين
راقية كامل محسن
التنضيد والتصميم — سهى غني عزيز
نسرين داخل فهد
الادارة المالية — حيدر سعد

مكتبة البوصلة الجيادية
الرقم ١٣٥٨
التاريخ ١٩/١/٢٠١٦
٣٥٩٤٠

نظرتنا الى الاستشراق

م.م. مشتاق بشير حمود الغزالي

المدخل

ليس من الصعب على أي قارئ أن يُدرك الإشكالية التي يعيشها الفكر العربي الإسلامي في نظرتهِ للاستشراق . الإشكالية التي تمثلت بتضارب واختلاف مواقف مفكرينا من أعمال المستشرقين عموماً . وعلى أية حال فأن الغالب على هذا الفكر الموقف الرافض المتشنج لكل ما صدر وما يصدر عن الاستشراق .

وكُنتُ أقف حائراً مُتسائلاً عن أسباب هذا التحامل الشديد ، هل كان الاستشراق سيئاً إلى هذا الحد ؟ وهل يستحق هذا العداء من قبل الفكر العربي الإسلامي ؟ أم أن هذا الفكر لم يقف بعد على ما هية الاستشراق ، وطبيعة إنتاجه الاستشراقي،وان أحكامهِ قد صدرت بناءاً على تصور خاطئ أو قاصرعن إدراك المفهوم الحقيقي لهذا العلم .

وفي خضم هذهِ الحيرة وهذه التساؤلات ، قررتُ أن أبحث في رؤية الفكر العربي للاستشراق ، هل هي مطابقة لكامل حقيقتهِ أم لا ؟ فوجدتُ آراءاً بُنيتْ من دون أن يكون لأصحابها دراية كافية

بالدراسات الاستشراقية ، آراء فرضت على القُراء نظرة غير دقيقة تجاه الاستشراق ، ومن جملة هؤلاء الدكتور عبد المنعم محمد حسنين الذي يقول عن الاستشراق : " الاستشراق في الحقيقة والواقع خادم للاستعمار وأهدافه ، وهو يتخذ من دراسة التراث الشَرقي وسيلة لمحاربة الإسلام والتشكيك في مصادرهِ ليصرف المسلمين عن دينهم ، فلا تتحقق لهم قوة ولا عزة ، بل يَظلون تابعين للغرب ، مُقلدين كل ما في بلادهِ من ألوان الفساد والانحلال " (١) .

ومنهم أيضاً الأستاذ حسين الهراوي الذي يقول أن : " الاستشراق مهنة ضد الشرق وضد الإسلام " (٢) . وعجيب أن ينخرط المفكر الكبير مالك بن نبي في هكذا موقف متشدد ويقول : " أن الإنتاج الاستشراقي كان شراً على المجتمع الإسلامي " (٣) . وهو يعلم أن هذا القول غير دقيق .

ومن مقومات الإنصاف، عدم الاعتراف بدقة هذهِ التعابير الصادرة عن نماذج من رجال الفكر والثقافة العرب المسلمين ، إذ لا يمكن أن يقتصر فهمنا للاستشراق على أنهُ لا يقدم خدماتهِ إلا للاستعمار ، أو أنهُ قد أمتهن العداء الفكري للإسلام والشرق . وآلا فبماذا نقوم وننعت الجهود التي أخرجت إلى النور آلاف المخطوطات العربية الإسلامية محققة على أيدي هؤلاء المستشرقين طوال قرون مضت ؟ ومن نافلة القول أنها لو لم تظهر على أيديهم لفاتنا زاد علمي كثير ،

ولما تمت الاستفادة منها ، وهل تُنسى السنوات العديدة التي قضوها لِتعلم اللغات العربية والشرقية وضبطها ومن ثم تخصصهم في موضوعات الشرق الإسلامي وغيرهِ .

وكمثال عن هذا الانصراف والانكباب على دراسة اللغات ،ما جرى للمستشرقين الإنكليز في الهند ، إذ كان عليهم أن يتعلموا ويضبطوا ما يُقارِب الثمانمائة لغة ولهجة شائعة بين سكان الهند . وهي لغات ولهجات ترجع في أصلها إلى اللغة ألام السنسكريتية (٤) ، ولم يتم هذا الأمر إلا بعد نحو مائتي عام لكي يتمكنوا من دراسة تراث وديانة وشؤون ذلك البلد الكبير ،مثلما يؤكد ذلك هذا النص : "مما يتطلب قليلاً من الخيال تصور حالة الأرتباك التام التي حاول فيها المستشرق المبتدأ في الهند أن يشق طريقاً خلال ما بدأ كأنهُ أدغال متكاثفة من الكلام غير المخطوط الذي أعترضهُ حين وصولهِ ... وأن أكثر من ثمانمائة لغة ولهجة مُنفردة شائعة بين سكان يناهز عددهم أربعمائة مليون نسمة " (٥) . فكان على المستشرق أن يضبط قواعد هذهِ اللغات واللهجات الكثيرة لكي يستطيع دراسة تراث ذلك البلد الواسع وفنونهِ وديانتهِ . وفي مقابل ذلك لم تخلو كتاباتٍ غربية عديدة ، من الأفتراءات والمزاعم والتشويه المتعمد لسيرة المصطفى (ﷺ) وتاريخ الإسلام (٦)، كتابات في الأعم الأغلب أصدرها من رجال الدين المسيحيين والموظفين لخدمة المصالح الدينية والاستعمارية وبعض

المفكرين والأدباء الأوربيين . وخطاءاً قد حسبت هذهِ النتاجات على عاتق المستشرقين ، ولأنها نتاجات قد عملت على الإساءة إلى الإسلام ونبيهِ الكريم فقد أُلصقت هذهِ الإساءة كلياً بالاستشراق .

وأعتقد أن هذا السبب ، هو سبب رئيس في الوصول إلى ذلك الموقف المتشنج من الاستشراق ، إذ إن عَدَ كل ما يصدر من قبل الغرب عن الشرق هو أستشراق هو بحد ذاتهِ خطاءاً كبيراً ، قد أدى بالفكر العربي الإسلامي إلى تعميم أحكامهِ بالرفض الكامل لكل ما هو أستشراقي .

ما هو الاستشراق (Orientalism)

يُعَرف البعض الاستشراق (Orientalism) بأنهُ : " علم الشرق أو علم العالم الشرقي " [٧] ويرى آخرون بأنهُ : " الإلمام باللغات الشرقية" [٨] . ولكي يكون التعريف أكثر شمولية ودقة أقول أن الاستشراق هو حرفة (مهنة) تخصصية في إحدى مواضيع الشرق سواء أكانت تلك المواضيع تتعلق بعلوم أو فنون أو تراث أو ديانة الشرق أو عاداته . وأنَ من يقوم بهذهِ الحرفة (المهنة) هو من أصطلح عليهِ (المستشرق) . وبناءاً على هذا التعريف يمكن القول بأن المستشرق هو صاحب الحرفة (المهنة) التخصصية في علوم أو فنون أو تراث ، أو ديانة الشرق أو عاداته . ولا يجوز لنا أن نعَد من هو خارج عملية الاحتراف هذهِ مستشرقاً بحجة أنهُ كَتب بحثاً أو مقالاً عن الشرق

، لأنهُ غير محترف لمهنة الاستشراق . وانما دخل هذا المجال بدافع الهواية أو بدافع خدمة المصالح الدينية المسيحية أو الاستعمارية . ولهذا يجب التمييز بين المشتغلين في هذا الحقل الهام ،إذ لا يجوز أن نطلق تسمية المستشرق على كل من يتناول الشرق ببحث أو مقال أو كتاب بسيط لم تسبقهُ دراسة وتعلُم في لغات وموضوعات الشرق ونساويه بمن أفنى حياته بدراسة فن من فنون الشرق ولغاته وقدم النتاجات العلمية العديدة ، فعلمنا هذا يكون كمن يساوي بين صاحب حرفة الحدادة الذي يقضي حياتهُ محترفاً (ممتهناً) لصناعة الحديد ولذلك يُسمى حداداً ، وبين من يمارس الحدادة هوايةً ورغبةً . فكيف أذن نساوي الأول بالثاني ؟ .

أن عدم التمييز في إطلاقنا لتسمية المستشرق ، وتعميمها على كل من يبدي برأيهِ في الشرق مهما كان اختصاصه ، قد أوقعنا في مشكلة الاختلاف في تحديد الموقف من هذا العلم وفي تعريفهِ . فوجدنا اتجاها متحاملاً بشدة على الاستشراق وهو الاتجاه السائد في الفكر العربي الإسلامي ، واتجاهاً أخراً مؤيداً لهُ ، وأتجاه ثالث يقف بين الأثنين [٩] . وقد تشكلت هذه الاتجاهات في وقت ساد الأعتقاد الخاطى بأن كل ما يصدر عن الغرب بخصوص الشرق هو استشراق . فراح أصحاب الاتجاه الأول (المتحامل) يستدلون بكل مقال أو بحث أو كلام صادر عن الغرب لدعم تحاملهم الشديد هذا ، في حين أن أصحاب الإتجاه

الثاني (المؤيدين) راحوا يبحثون عما قدمهُ الغرب للشرق من فضل لِيجعلوه عذرهم في هذا الموقف المؤيد . وأما الإتجاه الثالث ، فقد ذهبَ باحثاً عن مُنصف للشرق فيشيد بهِ وعن مُبغِض للشرق حتى يشُهر بهِ ويُحذر منهُ.

وفي زحام هذهِ الآراء والمواقف المتضاربة أضعنا التمييز بين من هو مُستشرق فعلاً وبين مَن هو (مُتطفل على الاستشراق) [١٠] .

وأعتقد أن عملية التمييز هذهِ ستقودنا للوصول إلى المفهوم الصحيح للاستشراق وبالتالي الوقوف منهُ موقفاً غير الموقف المتضارب المتناقض الموجود في كتاباتنا العربية الحالية . ولن أقدم إحصاءاً بحالات عدم التمييز التي وَقعَنا ونقع بها ، ولكنني سأسوق أحد الأمثلة عَلها توضح الصورة وتوصل الفكرة .

نموذج لاحد الأخطاء الشائعة لدينا

لقد عُرِفَ عن الإنكليزي توماس كارليل صاحب كِتاب (الأبطال وعبادة الأبطال والبطولي في التأريخ) [١١] بأنهُ من أكثر المستشرقين إنصافاً لِشخصية الرسول الكريم (ﷺ) ، ويَعدهُ بعض كُتابنا العرب بأنهُ من المستشرقين المرموقين . والحقيقة أن كارليل على الرغم من عباراته المعتدلة بخصوص السيرة النبوية الشريفة ، آلا أنهُ ليس مُستشرقاً ، بل هو أديب وفيلسوف كان يُعد من كبار أدباء عصرهِ ليس في إنكلترا فسب وأنما في عموم أوربا [١٢] . وأن كتابه (الأبطال) ما هو

إلا نظرية وضعها لِعلاج ما كانت تمُر به بريطانيا من مأزق كبير في عصر الثورة الصناعية ، فقد كانت حاجتها ماسة إلى قائد مُنقذ يستحثها ويُثور فيها عنصر البطولة الجماعي ، ولذلك أستخدم كارليل التأريخ في نظريته ليُقدم حلاً نظرياً مُقترحاً لإنقاذ بريطانيا من أزمتها الحضارية التي فَرضتها ظروف غياب مركز سلطة قوي في ظل تحولات التحديث والمكننة (١٣) .

وقد ضَمّن كِتابهِ هذا المُتكون من ستة فصول ، فصلاً عن سيرة النبي محمد (ﷺ) أسماه (البطولة في صورة رسول : محمد بن عبد الله) ، وبفضل هذا الفصل راح الكل يدعونهُ بالمستشرق . فمن أين جاءهُ هذا التخصص بالاستشراق وهو لا يعرف حتى أية لُغة شرقية !! وهذا الخطاء الذي وقعنا فيه لا يشمل الأديب البريطاني فقط وانما هناك مُفكرين وأدباء وفلاسفة أوربيين وغربيين مثل فولتير وكريستيان براون و فريدرش ويوهان هيرور وفلايشر وغيرهم الكثير .

وغير هؤلاء الأدباء والمفكرين هناك فئة من رجال الدين المسيحيين والمبشرين الذين صَنفوا بعض المؤلفات حول الشرق الإسلامي فقمنا بوضعهم ضمن قائمة المستشرقين أيضاً بالرغم من عدم تَخصصهم في مجال الدراسات الاستشراقية وأنما جاء تناولهم للشرق الإســـــلامي بدافع خدمة المصالح الدينية المسيحية في مواجهة الدين الإسلامي .

أن الخطاء الذي وقعنا فيه هو تعميم مُصطلح الاستشراق على فئات لا علاقة لها بالاستشراق بتاتاً كالأدباء والمفكرين ورجال الدين . وبسبب هذا التعميم تعددت مواقفنا وتضاربت وظهرت اتجاهات متعددة في النظرة إلى الاستشراق .

وحتى نصل إلى المعنى الحقيقي للاستشراق لابُد من أبعاد هذهِ الفئات التي أدخلناها نحن خارج هذا المجال من الدراسات ، فلا مانع من أن يتناول الأديب الغربي شخصية الرسول (ﷺ) في أي عمل ومع هذا يبقى أديباً قي التخصص وليس مُستشرقاً ، أو أن يتناول رجل الدين المسيحي الإسلام ومع هذا يبقى رجل دين في التخصص . وأن ينفرد بهذا المفهوم (الاستشراق) الأستاذ الغربي المتخصص بالشرق سواء أكان الشرق إسلامياً أم غير إسلامي .

وقد يَقول أحدهم أن عملية التمييز هذهِ قد تكون صعبة مع وجود الكم الكبير من النتاج الفكري الغربي الخاص بالشرق .

وأقول مع ضعف الاحتمال الوارد في هذا التَساؤُل ، ولكن مع هذا يمكن القيام بعملية التمييز هذهِ من خلال قراءة محتوى النتاج ، لأن المؤلفات الخاصة بالشرق الصادرة من مُستشرقين تختلف في نُقاط عدة عن تلك المؤلفات الصادرة عن فئات غير متخصصة بهذا العلم . ويمكن أن نُجمل هذهِ النقاط بالآتي :

أولاً : أن المؤلفات الاستشراقية يسودها الطابع العلمي الذي يناقش ويحلل ويبحث ولا يصدر الأحكام جَزافاً ، فترى فيها دراسات علمية صادرة عن أساتذة متخصصون يفندون ما يرونهُ غير صحيح من آراء الغرب وفي اغلب الأحيان تراهم يبحثون عن الحقائق بروح علمية . وهذا لا يعني أنهم حياديين تماماً ، إذ تظهر ميول بسيطة مُتأثرة بالجانب العقائدي ، ولكن مع هذا فأن مؤلفاتهم تختلف تماماً عن تلك المؤلفات غير المتخصصة التي نجد فيها المزاعم الباطلة والعبارات غير المُهذبة والأحكام الهوائية المتحاملة على النبي محمد (ﷺ) والتاريخ الإسلامي .

ثانياً : المنهجية التي يعتمدها المستشرقون ، هي منهجية علمية تراعي منهج البحث التأريخي ، بينما تلك المؤلفات غير المتخصصة لا تراعي بتاتاً هذا المنهج وهي تفتقر إلى أبسط قواعدهِ . ومن المؤكد أن يكون هذا دَيدنُها في ترك المنهج البحثي الصحيح ، فهي لا تريد آلا الوصول إلى أهدافها الدينية أو السياسية أو غيرها من الأهداف الغير علمية الأخرى .

ثالثاً : نلاحظ دوماً أن المؤلفات الاستشراقية تستند على المصادر المهمة والرئيسة ، وغالباً ما تكون تلك المصادر شرقية أصيلة أو مخطوطات قديمة إضافةً إلى المصادرالاستشراقية الرائدة ، بينما المؤلفات غير المتخصصة نراها تسطر السطور تلو السطور دون أن تراجع المصادر

الشرقية وكأنك تقرأ القصص الخيالية النابعة من أفكار المؤلفين ، وهم بدون شك لا يعرفون شيئاً عن هذهِ المصادر ولا عن أهمية الاعتماد عليها فتراهم يُركزون على إظهار ما يريدون ، لاما موجود من حقائق فيها .

بدايات الاستشراق

والآن بعد أن تَعرَفنا على المفهوم الدقيق للاستشراق ، لا بد من أن نحدد البدايات الأولى لِهذا النشاط الغربي الضخم الذي جعَلَ من الشرق مَيداناً لِعملهِ .

إذ لم ينشأ الاستشراق بين ليلةٍ وضُحاها ، وليس هناك عام محدد يُثبت تأريخ بداية هذا النشاط . إنما هي أنشطة أوربية نشأت وتطورت وانتقلت من مرحلة إلى أخرى حتى تبلورت في أنضج صورة فسميت بالاستشراق .

بداية الاتصال الثقافي الغربي بالإسلام

يقول المستشرق الإنكليزي برنارد لويس [١٤] : " أن العرب وبعد أن فَتحوا شمال أفريقيا ، ساروا بانتصاراتهم إلى أوربا واستعمروا إقليمين هامين (أسبانيا و صقلية) مُدةً طويلة ، وأسسوا فيهما مدنية زاهرة أرقى بكثير من أية مدنية معاصرة لها آنذاك في البلاد المسيحية ". إذن المدنية العربية التي أُقيمت في أسبانيا وصقلية والتي سَبقت قيام الحملات الصليبية ، كانت بداية الاتصال الغربي ثقافياً بالإسلام .

ذلك أن العالمين (الشرقي المسلم والغربي المسيحي) لم يكونا بمستوىً واحد من النهوض والازدهار الفكري آنذاك ، إذ خَيمت الظلال القاتمة والدياجير المظلمة على حياة الغرب خلال تلك العصور ، على العكس تماماً مما كان العالم الإسلامي يمُر به . ولذلك توجه طلاب العلم المسيحيين من بلادهم قاصدين الأندلس الإسلامية حيث مراكز العلم ، لِينكبوا على تعلم العربية والتتلمذ على يد المعلمين المسلمين ، حتى صارت العربية هدفاً لِكل طالب علم أوربي ، وكان المسيحيون الذين تَعلموا العربية يَحضون بالاهتمام والتقدير بين أقرانهم(١٥). وقد عّبر أحد المستشرقين عن فضل وأهمية هذه اللغة آنذاك بالنسبة لهم قائلاً : " في القسم الأول من القرن السابع ألتهبَ العرب حماسةً بدين جديد وبهرهم أمل الفتح في سبيل الله فأنقذفوا من جزيرتهم الماحلة الجدباء وانتشروا من أسبانيا إلى الهند وما وراءها . وقد حملوا معهم لُغةً قُدَر لها أن تصبح أداة أدب عظيم ، لغةً كان من فخارها أنها صارت الواسطة التي نُقل بها أرسطو وجالينوس اللذين كانا قد آلا إلى النسيان ، نُقلا بها على قرون عديدة حتى إستكشفا من جديد في لُغتهما الأصلية " (١٦) .

أن اتصال الغرب بعلوم المسلمين ، جعلهم يتعرفون على مؤلفات يونانية و رومانية قديمة لاسيما في مجال الفلسفة ، قام العلماء المسلمين بنقلها إلى العربية والإضافة عليها . وبذلك عثروا على جزء مهم من

حضارتهم كان العرب قد حافظوا عليه من الضياع . وهذا الأمر كان دافعاً آخراً ومهماً لِمواصلتهم الأتصال والتعلم في مراكز العلم العربية

وبينما كان بعض طلاب الغرب يتعلمون العربية ، كانوا ينَقلون ما تَعلموه إلى اللغة اللاتينية التي لم تكن آنذاك أداة الطقوس الكنسية فحسب ، بل كانت أداة العلم ووسيلة التخاطب بين المثقفين في عموم أوربا(١٧). وسرعان ما تأسست مراكز مهمة للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، كان من أبرزها مّجمعاً للمترجمين في مدينة طليطلة التي كانت من أكبر مراكز العلم في الأندلس الإسلامية ، و كان هذا المجّمع قد تأسس على يد رئيس أساقفة طليطلة ريموند (Raymund) في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ، فعهد ريموند برئاسته إلى شخص يدعى دومنيك غوندي سالفى (Gndisalvi Dominic) وأسند إليهِ مهمة إعداد ترجمات لاتينية لأهم الكتب العربية في الفلسفة والعلوم وكانت الطريقة المُتبعة في هذا المجّمع ، بل والطريقة السائدة في العصور الوسطى ، هي الاستفادة من خدمات المترجم الذي كان يضع الكلمة اللاتينية فوق الكلمة العربية التي في الأصل ، وفي آخر مرحلة يراجع كبير المترجمين النص اللاتيني الذي كان يحمل أسم مُراجعه (١٨) . ومن أسبانيا إنتقلت حركة الترجمة هذهِ إلى إيطاليا حيث استمرت حتى مُنتصف القرن السادس عشر الميلادي (١).

وعلى ما يبدو أن عملية التعلم على يَد المسلمين والترجمة من كُتبهم ، كانت قد بدأت عملية فردية غير منظمة خاضعة لِرغبة كل فرد وإمكانياته ورغبته في التعلم ، ثم تَطورت إلى عملية منُظمة تُساهم فيها الدول الأوربية ورِجال الكنيسة ، تَمثل ذلك في إرسال البعثات العلمية إلى الأندلس الإسلامية لدراسة العلوم والفنون والصناعات في معاهدها الكبرى ، كالبعثة الفرنسية برئاسة الأميرة اليزابيث إبنة خالة لويس السادس عشر ملك فرنسا ، والبعثة الإنكليزية ترأستها الأميرة دوبان إبنة الأمير جورج صاحب مُقاطعة ويلز ، والبعثة الأسبانية التي جَمعت الطلاب من مقاطعات سفوا والبافر وسكسونيا والرين ، وقد بلغ عدد أفرادها سبعمائة طالب وطالبة ، وتوالت البعثات على الأندلس من إنكلترا وفرنسا وإيطاليا ومناطق أُخرى من أوربا فامتلأت بهم معاهد غرناطة واشبيلية [٢٠] .

موقف الكنيسة المسيحية (الكاثوليكية) من الإسلام

لَقد تمتعت الكنيسة [٢١] بسلطة كبيرة وواسعة على الفكر والثقافة داخل المجتمع الأوربي خلال العصور الوسطى ، وكانت الكنيسة أكبر بكثير من أية دولة في الغرب ، لا تسمح بأن تتدخل قوة في شؤونها وكانت هي القابضة على زِمام التعليم والفكر يوم ذاك ، تضطهد كل من يُخالفها في مُعتقداتها أشد الاضطهاد ، لا سيما بعد أن أصبح السلطان والسلطة لها في عموم أوربا [٢٢] .

فلما أقبل المسيحيون على دراسة اللغة العربية وعلوم المسلمين بِشغف كبير ، ظهرت علامات الخوف والفزع على عُلماء ورجال الدين المسيحيين وقد يعبرعن هذا الأمر قول أحد الأساقفة لِمُعاصريه : " أن كثيراً من المسيحيين يقرؤون الشعر العربي والقصص العربية ويَدرسون فلسفة المسلمين وفقههم لا لِدحضها بل لإتقان العربية والتعبير بها ببلاغة وعذوبة ، ولكنك لا تكاد تجد من يقرأ باللغة اللاتينية الكتب المُقدسة أو من يَدرس الإنجيل والأنبياء والرسل ... أن الشباب المسيحيون الأذكياء لا يعرفون سوى اللغة العربية وآدابها ويقولون بِملء أصواتهم على مسمع من الكل إن هذهِ الآداب تستحق الإعجاب " (٢٣) .

لقد بدأ خوف الكنيسة من اهتمام أبناءها بالعربية والعلوم الإسلامية يزداد ، وكان هذا الخوف أولى بذرات العداء المسيحي للإسلام ، هذا العداء الذي قُدرَ لهُ أن يكون عداءاً تاريخياً متواصلاً غير مُنتهي حتى يومنا هذا .

ونتيجةً لِهذا الخوف والعداء ، فقد تبنت الكنيسة سياسة صارمة مُتشددة ، اتخذت من محاربة الإسلام واضعافهِ شِعاراً لها ، ووضعت كل إمكانياتها وطاقاتها في سبيل تحقيق هذا الهدف . فقد عملت على إبقاء المواطن الأوربي جاهلاً بحقيقة الدين الإسلامي ، بعد ما كانت تسيطر وتوجه كل معلومة تصل إلى أوربا وتتحكم بالحركة الفكرية في

المجتمع ، وأفضل من وصف هذا الجهل المطبق على ذلك المجتمع المستشرق ساوثرن (Southern) [٢٤] عندما قال : " إذا ما نظرنا إلى الجهل المرتبط بالمكان المغلق ، هذا هو نوع الجهل لِرجل في سجن يسمع الشائعات عن أحداث خارجية ويحاول أن يشكل ما يسمعه بمساعدة أفكاره السابقة . الكتاب الغربيون قبل (١١٠٠ م) كانوا في هذا الوضع بما يخص الإسلام ، لم يعرفوا شيئاً عن دين الإسلام ، كان الإسلام بالنسبة لهم واحداً من عدد كبير من الأعداء الذين يهددون الدولة المسيحية من كل اتجاه ".

وبالوقت نفسه توجهت أقلام بعض رجالها المتعصبين لِتشويه صورة الإسلام الحقيقية ، و بدأوا يُروجون لِفكرة أن دور الإسلام هو الظهوروالدعوة ضد المسيح (عليه السلام) ، وأن للإسلام آثراً مُدمراً للأخلاق يمكن ملاحظته لو وضع جنباً إلى جنب مع الأخلاق المسيحية [٢٥] .

هذا الموقف المتعصب ، قد تشكل كما أسلفنا نتيجة القلق والخوف من انتشار الإسلام في أوربا ، فشعر البعض من رِجال الدين أن من واجبهم أن يوقظوا إخوانهم إلى الخطر الداهم ، وهكذا لم يكن من الصعب عليهم أن يجدوا في الإسلام ومؤسسه أثار مؤامرة مُدبرة ضد المسيحية [٢٦] .

وبسبب ما أُلصق بالشرق الإسلامي من صورة مشوهة خلال العصور الوسطى بفضل الكنيسة ورجالها . لم يُعرف الاستشراق كعلم الا في العصر الحديث بحدود القرن الثامن عشر الميلادي [٢٧]، حيث ظهرت بعض الكتابات الاستشراقية المُعتدلة نوعاً ما ، واخذ بعض المستشرقين يراعون المنهج العلمي في بحوثهم ودراساتهم ، واصبح الاستشراق أشبه بالعلم المنظم الذي يعني بإصدار المجلات الخاصة بموضوعات الشرق وتحقيق المخطوطات المهمة ، واستكمالاً في تنظيم هذا العلم اتفق المستشرقون على عقد أول مؤتمر للاستشراق تكون الفرصةُ فيه للتلاقي والتشاور والاطلاع على آخر الدراسات الاستشراقية ، فكان في باريس سنة ١٨٧٣ م ،ليستمر بعدها بالانعقاد كل ثلاث سنوات حتى توقف في سنة ١٩٧٣ م ،بعدما قرر مجموعة من المستشرقين التخلي عن هذه التسمية (الاستشراق) بسبب النظرة السيئة التي أحاطت بها ، والتهم الحادة الموجه إليها [٢٨].

واخيراً فان الاستشراق علمٌ واسع لهُ من الإيجابيات الكثير مثلما لهُ من السلبيات ، ومن الصعوبة بمكان استيعابهُ ببحث صغير .كذلك لابد من الإشارة إلى أن المستشرقين لا يعتنقون عقيدتنا وبالتالي فما يتوصلون إليه في أبحاثهم قد لا يتوافق مع إيماننا الراسخ بديننا الإسلامي .

هوامش البحث

(١) عبد المنعم محمد حسنين ، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته،مجلة الجامعة الإسلامية ،(المدينة المنورة-١٩٧٧) ، العدد الثاني ،ص٨٠ .

(٢) حسين الهراوي،المستشرقون والإسلام ، (القاهرة-١٩٣٦) ،ص٧٩ .

(٣) مالك بن نبي ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، (القاهرة-١٩٧٠) ،ص٧٠ .

(٤) السنسكريتية هي(اللغة ألام لسلالة اللغات العديدة في الهند ، وكانت هذه اللغة قد انقرضت منذ زمن بعيد كأداة للتعبيرفي الحياة اليومية،وهي تشابه في وضعها هذا اليونانية واللاتينية في أوربا،ومع انقراضهامن الاستخدام العام،فمن المستحيل أن يبنى علم لغوي صحيح بلغات الهند قبل الشروع بدراستها دراسة جدية علمية) ينظر:

Arberry, A.J, British Orientalists, (London١٩٤٦), PP. ٢٨٢٠.

(٥) Ibid. , P. ٢٨.

(٦) للتفصيل في هذه الافتراءات والمزاعم ينظر :

(٧) **Norman Daniel, Islam and the west the making of a lamge**, (Edinburgh١٩٦٠), R.W.Southern, Western views of Islam in the middle ages, (Harvard١٩٦٢).

(٨) رودي بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة مصطفى ماهر ، (القاهرة - ١٩٦٧) ، ص١١ .

(٩) The Compact of the Oxford English dictionary, (Newyork١٩٧١), VOL.١, P.٢٠٠٩.

(١٠) للتفصيل اكثرعن هذه الاتجاهات ينظر : مشتاق بشير الغزالي ، تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية الشريفة ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية التربية(ابن رشد)جامعة بغداد،٢٠٠١ ، ص ص١٢-١٩ .

(١١) المقصود هنا (الشخص غير المتخصص بالاستشراق ويقدم نتاجاً خاصاً بالشرق) .

(١٢) توماس كار ليل ، الأبطال ، ترجمة محمد السباعي،(بيروت-١٩٧٩) .

(١٣)ينظر: محمد عبد الحسين الدعمي ، المتغير الغربي : الشرق الاستشراق ، (بغداد - ١٩٨٦) ، ص ص٢٧ - ٣٠.